التنافر المعرفي وإشتغالاته في النص المسرحي العراقي (مسرحية المهزلة إنموذجاً)

Cognitive dissonance and its effects in the Iraqi theatrical text (The farce play is an example)

الباحثة: م. م. دعاء عبد الواحد طه

M.M. Doaa Abdel Wahed Taha

duaaabdalwahd.89@gmail.com

أ. د. زيد ثامر عبد الكاظم

Prof. Dr. Zaid Thamer Abdel Kazem

zthamer٤٤@gmail.com

ملخص البحث

تشكل المعرفة مقياساً هاماً للتطور وجزءا اساسيا من التجربة الانسانية ، فهي رحلة مستمرة في ميدان سعي الانسان لفهم معنى الحياة والعالم من حوله وتحقيق اشياء عظيمة ، وفي الوقت ذاته تطرح تناقضاتها العديد من التحديات التي تثير الشك والحيرة والارهاق العقلي ، في ظل عالم مليئ بالظواهر المترابطة بعلاقات معقدة ومتشابكة قد يصعب احياناً فهمها بشكل دقيق عبر قدرات الانسان المعرفية المحدودة ، فَتُثار وتتبلور تنافرات معرفية ذهنية قد يؤدي تفاقمها الى صراعات مبكرة خفية ، تماماً كما تنذرنا رائحة الدخان النافذة بوجود نار كامنة تبدأ من شرارة صغيرة وسرعان ما تنمو وتكبر بتغذيتها بالاوكسجين فتزداد حدتها كلما اهملنا إخمادها بالماء أو خنقها بقطع إمداد الاوكسجين لها ، هكذا حال رحلة التنافر المعرفي التي تبدأ بتناقضات في الافكار والمعتقدات ، أو مشاعر متضاربة ، أو صعوبة في التوفيق بين القيم والمبادئ ، إذ تمثل علامات تحذيرية مبكرة للصراع المحتمل وقوعه ، فيشعل حدث ما ، أو موقف محدد فتيل الصراع ، لتتحول الافكار المتضاربة الى مشاعر جارفة ، وتصرفات عدوانية ، او انعزال وانطواء فتصعب السيطرة عليه تاركاً ورائه دمارا نفسيا وعلاقات محطمة وخسائر مادية ومعنوية لا يحول دون وقوعها سوى طريق الذكاء والحكمة في التعامل مع هذه التناقضات وتحويلها الى فرصة للنمو والتطور عبر التدخل المبكر والتنازل والتسامح والانفتاح الذهني والوعي وإعادة تقييم الذات وفهمها بشكل اعمق وتوسيع افاق التفكير والتقبّل وخلق عالما متوازناً ومتسقاً ، فيغدو التنافر المعرفي حالة صحية ومحفزا للتغيير الايجابي ، بخلاف الاستراتيجية الخاطئة للتعامل معه ، عندما تلجأ الشخصية الى دفن التناقضات تحت السطح وتجاهلها وتجنب

التفكير فيها ، والافراط في استخدام آليات وحِيَلْ الدفاع النفسي المتمثلة بخداع الذات وانكار الحقائق وتأويلها المتحيز واعادة كتابة التاريخ والتجاهل المتعمد والتبريرات الواهية لأي شيء قد يثير التنافر المعرفي واغلاق العقل وعدم المواجهة والهروب من الواقع ، التي تفضي الى اتزان نفسي هلامي ومؤقت سرعان ما يغيبه تنافر معرفي آخر اشد حدة مما يدفع الشخصية الى أحداث تغرقها في المأساة .

Abstract

Knowledge constitutes an important measure of development and an essential part of the human experience. It is a continuous journey in the field of man's quest to understand the meaning of life and the world around him and to achieve great things. At the same time, its contradictions pose many challenges that raise doubt, confusion, and mental exhaustion, in light of a world full of phenomena interconnected by relationships. Complex and intertwined, it may sometimes be difficult to understand accurately through a person's limited cognitive abilities, so it raises and crystallizes mental cognitive dissonances whose exacerbation may lead to early hidden conflicts, just as the penetrating smell of smoke warns us of the presence of a latent fire that starts from a small spark and quickly grows and grows by feeding it with oxygen, so its intensity increases the more we neglect. Extinguishing it with water or suffocating it by cutting off its oxygen supply. This is the case with the journey of cognitive dissonance that begins with contradictions in ideas and beliefs, or conflicting feelings, or difficulty in reconciling values and principles, as they represent early warning signs of the conflict that is likely to occur, and an event, or a specific situation, ignites a fuse. Conflict, so that conflicting thoughts turn into overwhelming feelings, aggressive behavior, or isolation and introversion, making it difficult to control, leaving behind psychological devastation, broken relationships, and material and moral losses. The only thing that prevents them from occurring is the path of intelligence and wisdom in dealing with these contradictions and turning them into an opportunity for growth and development through early intervention, compromise, and tolerance. Open-mindedness, awareness, re-evaluation of the self, understanding it more deeply, expanding the horizons of thinking and acceptance, and creating a balanced and consistent world. Cognitive dissonance becomes a healthy state and a catalyst for positive change, unlike the wrong strategy for dealing with it, when the personality resorts to burying contradictions under the surface, ignoring them, avoiding thinking about them, and overusing mechanisms. Psychological defense tricks, represented by self-deception, denial of facts, biased interpretation, rewriting of history, deliberate ignorance, and flimsy justifications for

anything that might provoke cognitive dissonance, closing the mind, lack of confrontation, and escaping from reality, which lead to a gelatinous and temporary psychological balance that is quickly lost by another, more severe cognitive dissonance, which pushes the personality to... Events plunge her into tragedy.

الفصل الاول : الاطار المنهجي

مشكلة البحث

يعد النص المسرحي احد اهم الاجناس الادبية فاعلية وتأثير في نشر الوعي بالقضايا النفسية والاجتماعية والفكرية والثقافية ويظهر وجهات نظر مختلفة عنها ، فهو يقدم أرضية خصبة لتحليل الصراعات النفسية عبر تجسيد الشخصيات ومشاعرها ودوافعها ، فعلى سبيل المثال يمكن لمسرحية ان تقدم قصة عن شخص ما يعاني من اضطراب نفسي ، مما يساعد المتلقي على فهم هذا الاضطراب بشكل افضل من خلال التعاطف مع الشخصية ومشاركة تجربتها ، فيعمد كاتب النص المسرحي الى ابتكار نص متميز عبر توظيف الافكار بطريقة درامية ابداعية مستعيناً بتقنيات الحوار المختلفة التي تجريها شخصياته الدرامية ، وتعد الاخيرة أهم عنصر في النص المسرحي الدرامي ، إذ تلعب دورا محورياً في بناء الحبكة وتطوير الاحداث وايصال افكار ورسائل النص ، بفعل تركيبتها وابعادها المعقدة القائمة على تناقضات فكرية وذهنية بين عناصرها المعرفية فتنتج سلوكاً يتعارض مع قيمها ومعتقداتها الراسخة فيما يصطلح عليه بـــ(التنافر المعرفي) المتغير الاساسي المحدد لإيقاع عنصر الصراع الذي يعد حجر الزاوية في بنية الشخصية الدرامية ، فيتجلى بذلك الدور المحوري والقيمة الحقيقية المؤثرة لظاهرة التنافر المعرفي في جوهر النص الدرامي (شخصياته) ، ومن هذا المنطلق تتبين قيمة المشكلة التي تسعى لمعرفة ظاهرة التنافر المعرفي في بنية الشخصية الدرامية . ووفقاً لما تقدم توصلت الباحثة الى صياغة مشكلة بحثها في التساؤل الآتي :

ما التنافر المعرفي للشخصية الدرامية في النص المسرحي العربي المعاصر ؟

أهمية البحث والحاجة إليه:

١- يعد التنافر المعرفي أداة فعالة يوظفها كتاب النصوص المسرحية لخلق اعمالاً إبداعية تحاكي الواقعية وتتسم بالعمق والمتعة والاثارة والتشويق .

٢- يحفز التنافر المعرفي عملية إعادة تقييم شاملة للقرارات المتخذة حول موضوع معين ، فَيُنَبِّه الذهن لمراجعة وتعديل القرارات والمعتقدات والسلوكيات الخاطئة .

٣- تتميز ظاهرة التنافر المعرفي بالقدرة الفائقة على تجسيد جميع التناقضات الحياتية (الفلسفية والنفسية والاجتماعية والثقافية) في قالب مسرحي درامي هادف .

هدف البحث :

تعرف التنافر المعرفي للشخصية الدرامية في النص المسرحي العراقي.

حدود البحث :

١_ حد المكان : (الناصرية)

٢_ حد الزمان : (٢٠١٣)

٣_ حد الموضوع : دراسة موضوع ظاهرة التنافر المعرفي وإشتغالاته في النص المسرحي العراقي .

تحديد المصطلحات:

عرفه التنافر المعرفي بأنه:

"حالة الصراع والضيق التي تحدث حين يحدث تحدى للمعتقدات الموجودة لدى الفرد ومسلماته، أو حين تتعرض لما يناقضها من شواهد جديدة، والفرد يبحث عادة عن تخفف من هذا الضيق بوسائل مثل : إنكار وجود الصراع أو أهميته، والتوفيق بين الفروق، وتعديل أحد العناصر المتنافرة، أو طلب مزيد من المعلومات . " [١]

يعرفه (محمد) : " حالة تتضمن إنشغال الفرد ذهنياً بموضوعين أو معتقدين ، او فكرتين ، يحتلان الاهمية نفسها ، إلا انهما متناقضان في طبيعتهما . " [٢]

حالة " الصراع الفكري بين جملة أفكار متناقضة، تؤدي لحالة من التوتر أو الاجهاد العقلي أو عدم الراحة نتيجة اثنين أو أكثر من المعتقدات أو الأفكار أو القيم المتناقضة"، بمعنى آخر هو حالة تتضمن انشغال الفرد ذهنياً بفكرتين أو معتقدين يحتلان نفس الأهمية بالنسبة له ولكنهما متناقضان في طبيعتهم." [٣]

التعريف الاجرائي :-

التنافر المعرفي : لحظة إجهاد ذهني تَخلُق شعوراً بعدم الراحة والقلق والتوتر او الحيرة والندم نتيجة إدراك تَعارُضْ المعتقدات الراسخة مع السلوكيات بفعل تجربة معرفية جديدة أو فشل توقع ، فتندفع الشخصية الدرامية في النص المسرحي لإحداث تغيير يُحَرِّك الأحداث بحثا عن حلول ايا تكن إيجابية أو سلبية لإستعادة اتزانها النفسي .

الفصل الثاني : الاطار النظري

المبحث الاول / التنافر المعرفي مفاهيمياً :

يرجع مفهوم التنافر المعرفي في جذوره الاولى الى الاغريق القدماء كشأن العديد من القضايا الفلسفية والنفسية التي تناولها العلم ، فقد مثلت حكاية إغريقية اسطورية عميقة المغزى للراوي الاغريقي (أيسوب) شاهداً مهما وأرهصت حدساً مبكراً لموضوع بحثي ظاهرة (التنافر المعرفي) ، ويحكى فيها أن ثعلباً كان يمشي في أيام الصيف الحارة في بستان ، وعندها شاهد عناقيد ناضجة من العنب تتدلى من أيكه عالية وكان يتضور جوعاً ، فسال لعابه واشتهى أن يأكل . قفز الثعلب مرة وأثنتين وعشر مرات وأكثر حتى تعب دون ان تمكنه قفزاته من التقاط عنقوداً من العنب . فلما يئس من ذلك وقرر ان يكف عن محاولاته ، أخذ يقنع نفسه ويبرر فشله قائلاً أنه لا يحب العنب كثيراً ، وأن العنب يمكن أن يؤذي أمعائه ، وماكان ينبغي له أن يبذل كل هذا الجهد للحصول على العنقود فهو في النهاية لايبدو ناضجاً بما فيه الكفاية . وعاد الثعلب أدراجه وقد أقنع ذاته بأنه لم يخسر شيئاً . (٤)

ألهمت هذه الاسطورة القديمة أحد علماء النفس الامريكيين (ليون فيستنجر) نظرية أطلق عليها (التنافر المعرفي) توصل اليها بعد سلسلة دراسات مبكرة عديدة بدأت عام ١٩٤٢م عُدَّتْ بمثابة الارهاصات الاولى للنظرية ، إذ تزامنت مع إطروحته للدكتوراه التي إختبرت تأثير الاختلافات بين الأداء الفعلي والمتوقع ، لمهمة محددة بين طلاب الجامعة وطلاب المدارس ، وبعد ذلك أجرى دراسة أخرى عام ١٩٤٧م عن تأثير تولد التنافر بسبب الاختلافات وعدم الاتفاق بين اهداف الفرد ، وأهداف أفراد جماعته ، عند التصويت في الانتخابات .[٥]

وتأسيساً على ما سبق ذكره وتفصيله عن الادراك فنجد أن مفهوم التنافر المعرفي يرتكز عليه بشكل كامل، إذ بدأت نظرية التنافر بإفتراض " أن هناك ثلاث صفات للعلاقات بين أزواج الادراك (عناصر المعرفة) ، صفة التنافر ، صفة التوافق وصفة اللاعلاقة ".[٦] فعندما يكون هناك نوعان من الادراك يربطهما موضوع محدد فيكونا

مرتبطين أي ذات صلة ببعضهما البعض ، إما متناغمان متسقان(يتسق السلوك مع المعتقد) أو متنافران متناقضان (يتنافر السلوك مع المعتقد) . واوضح (فيستنجر) ان عناصر المعرفة تنتظم في النفس بهيئة إدراكات متعددة متفاوتة في اهميتها لدى الشخص وتكوينه ، على هيئة ازواج معرفية لتشكيل بوصلة سلوكه مع الواقع . وأضاف (فيستنجر) أن الادراكات التي لا تلتقي او لا تدور حول موضوع محدد تكون غير ذات صلة لبعضها البعض ، أي انها أنماط إدراكية منفصلة لا رابط ظاهري يجمعها ، قد تمثل ضجيجاً لا معنى له أو أشياءً عشوائية ، وعندما تحاول الشخصية فطريا ربط زوج من الادراكات بموضوع معين لمحاولة تحميلها معنى وتفسير، كنوع من إضفاء الصفة العلمية او المصداقية عليها أو اعطائها أهمية تفوق حجمها الحقيقي ، فيعد ذلك تحدراً تلقائيا في ميل الانسان الى البحث عن أنماط في الطبيعة العشوائية ذات مغزى ومعنى مستنداً على المبدأ السببي الذي يربط الاحداث ذات المعاني القريبة أو المتزامنة ، ويتم ذلك عبر نوع من الادراك الوهمي سواء أكان ، بصري ، ذهني ، وهم التصور ، خداع الحواس ، هوس التفسير الذي يربط الاحداث بنظريات المؤامرة ، وهوس الخوارق الطبيعية ، أو ممارسة الانحياز التأكيدي ، في ميل الاشخاص فطرياً الى تفسير الادلة الغامضة وتذكر المعلومات بشكل إنتقائي يدعم ويتوافق مع موقفهم وإفتراضاتهم ومعتقداتهم عن موضوع ما، لتمثل مفاهيماً كانت ومازالت مدار بحث العلماء ك(الاستسقاط ، والباريدوليا ، ومبدأ التزامن) ، حيث عكست هذه المفاهيم ظواهر كثيرة في عالمنا الحقيقي . وخلاصة القول أن العلاقات المعرفية بين المدركات تكون بأحد النوعين : اما غير ذات صلة ، او ذات صلة ، ليتمظهر مفهوم التنافر المعرفي كجزء من الاخيرة مع نظيره الاتساق المعرفي . "[٧] ويعد التنافر المعرفي من الموضوعات المهمة التي شغلت اهتمام الباحثين في العديد من مجالات علم النفس ، كعلم النفس المعرفي والاجتماعي والتربوي حتى وقتنا الحاضر ، وتفترض نظرية التنافر المعرفي ان الفرد يحدث له تنافر بين افكاره وسلوكه عندما يتعرف معرفة جديدة لا تنسجم مع معتقداته وآراه الموجودة لديه سابقا؛ مما ينذر بوجود امر ما غير متجانس من الناحية السيكولوجية ، ويتسبب في عدم الشعور بالراحة ، او القلق النفسي الناتج من وجود هذه الاوضاع المتنافرة وذلك يؤدي الى حث الفرد على تخفيفها بطريقة او بأخرى . "(٨) وفي ذات السياق هناك من يرى ان التنافر المعرفي حالة انفعالية تنشأ عندما تتكون لدى الشخص عناصر معرفية تقتضي ان يكون احدهما او بعضهما عكس الاخر؛ كحالة من التوتر ، تدفع الفرد للمثابرة حتى يتمكن العمل المعرفي من تخفيض عدد او اهمية المعارف المتناقضة مع العناصر الاكثر مقاومة للتغيير، إلا انه في بعض الاحيان قد يجد الفرد نفسه في موقف متعارض مع ما يعتقده ولا ينسجم مع مواقفه ، وفي هذه الحالة يشهد الفرد تنافراً معرفياً يدفعه لمحاولة تخفيضه ، فكلما كان حجم التنافر كبيراً بذل محاولات اكثر لتخفيفه او إزالته .

أن الفرد مدفوع لان يُنَمّي إطاراً معرفياً عن العالم " وأن يكون هذا الاطار متكامل العناصر ، متناغم الاجزاء ، ومن مظاهر هذا الدافع الحاجة الى الاعتقاد بأن اتجاهاتنا ومسالكنا متكاملة مع بعضها البعض لا تناقض ولا تضاد بينها ، نتجنب ما إصطلح على تسميته بمصطلح التنافر أو التناقض المعرفي ."[٩]

ويمكن تعريفه بأنه شعور بالضيق وعدم الارتياح يتم في أعماق اللاوعي فيندفع الفرد بشكل تلقائي لتقليله عبر القيام بعمل ما أو تجنب المعلومات التي تثير هذا الشعور ، أو هو حالة توتر نفسي بسبب عدم التوافق أو الاتساق بين معتقدات الفرد وإتجاهاته وسلوكياته ، ولكي يقلل الفرد من التوتر يجب عليه أن يعي المشكلة ويعرف طبيعتها عبر تغيير الاتجاهات لتتسق مع السلوكيات . "[٩] هذا يقتضي أن الانسان يرد ان يطابق بين سلوكه وعملياته الذهنية المعرفية وأن يمثل سلوكه الذي يظهر اتجاه الموقف سلوكا يتوافق مع عمليات التفكير التي سبقته حتى وصلت الى حالة اتجاه ، سواء اكان اتجاه الحب والتفضيل او اتجاه الكراهية والتجنب...فالفر الذي يمتلك اطارا معرفيا لا يصطدم عادة بحالات ومواقف يصعب ادخالها ضمن اطاره ومهارته لتصبح جزءا من بنيته المعرفية. "[١٠]

فنظرة عميقة للتنافر المعرفي أن الامر ليس صراعاً بين معرفة وسلوك غير متسقين وحسب ، ولكن التنافر المعرفي أكثر دقة من ذلك ، فالجزء المكمل واللاحق لعملية الصراع التي يتضمنها المفهوم هو أن نُفعِّل آليات نفسية تلقائية او مكتسبة تحور أفكارنا أو سلوكنا حتى لا نفقد أو نشوه نظرتنا الاخلاقية المنطقية لأنفسنا ، ليحمل التنافر المعرفي فكر أن كل ما تفعله الشخصية منطقي وأخلاقي ، فإذا فعلت شيئاً يظهرك أحمقاً أو متلاعباً سوف تحوره داخل مخك ليصبح منطقياً في نظرك حتى لو ينتصر الوهم على الحقيقة . فيكون التنافر المعرفي حالة سابقة من التأزم تؤدي الى نشاط وحافز موجه للحد منه ورغبة في إستعادة الاتساق والتوازن ، تماماً كما يؤدي الجوع الى النشاط الموجه نحو الحد من الجوع . إذن فالتنافر المعرفي حالة الاجهاد الفكري بسبب تصادم الواقع مع المسلمات والقناعات الراسخة في العقل الباطن والتي تشكلت نتيجة الرأي الجمعي والظروف البيئية التي يعيشها الفرد .[١١]

المبحث الثاني : التنافر المعرفي في النص المسرحي (عالمياً ، عربياً)

أن الانسان يحاول بشكل دؤوب خفض التوتر والاجهاد العقلي ، او حالة عدم الراحة التي يعاني منها بشكل يومي في ظل هكذا عالم مليء بالتحديات والقضايا المعاصرة الحديثة ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى بات

من الضروري ان يشهد المسرح شأنه شأن باقي أشكال الفنون الادبية تطوراً وأن يواكب هكذا تحديات ويعرضها بصورة جمالية وإبداعية مشوقة وبمضامين فكرية تعكس اهداف ورسائل عميقة موجهة لإثراء القارئ ورفع مستوى وعيه الثقافي في ظل وجود قوالب درامية اخرى منافسة للمسرح أصبحت اكثر جذباً وإقناعاً وإمتاعاً للمتلقي ، كالأفلام والمسلسلات التلفزيونية والعروض الرقمية ومسرح الاشياء ، فسعى الادب المسرحي هو الآخر للتكيف مع التغييرات عبر تطوير آلياته ومضامينه التقليدية المألوفة ، والبحث عن ظواهر انسانية جديدة لتسخيرها بهيئة ترتقي لمتطلبات التطور الذي فرضته سرعة العصر هذه ، سيما ان المسرح فنا حيويا يعكس الواقع ويجسده فأدرك القائمين على العملية المسرحية ان التحديث يجب ان يطال المضمون والانتباه لضرورة حبك وتوظيف قضايا وافكار تلامس هموم الانسان الحديث في اعمال مسرحية بأسلوب درامي مشوق ، وأن لا يقتصر التطور المسرحي فقط على تقنيات العرض من سينوغرافيا ومؤثرات صوتية وبصرية وعروض الفيديو والداتاشو ، فتخطى المسرح بذلك الحدود المحلية ليصبح لغة عالمية للتواصل والتعبير عن المشترك الانساني ، وازداد التبادل الثقافي بين المسارح في مختلف انحاء العالم ، مما ادى الى ظهور نصوص مسرحية هجينة تحاكي ثقافات مختلفة ، وإستجابة العديد من كتاب النص المسرحي لهذه التحديات ونجحوا في هذه الرحلة التي اصبحت مسرحياتها تمتاز بتكثيف الحدث وتركيزه والاقتضاب كثيرا والابتعاد عن الاسهاب فسادت نصوص قصيرة تتمحور احداثها عن قضايا محددة تتماشى مع متطلبات العصر الذي لا تستهوي أفراده الإطالة والتكرار ، فضمَّنَ الكتَّاب نصوصهم المسرحية بأدوات تساعد على تغيير سير الاحداث وتخلق الصدمة والتشويق وتعزز خط الصراع الدرامي الذي تحمله الشخصيات وذلك بتضمين نصوصهم ابعاداً فكرية ونفسية وفلسفية بصورة تجعل شخصياتهم الدرامية مستثارة وذات عمق ومتطورة بطريقة تستطيع معها غلق الفجوة التي يسببها الخط الزمني المحدود لسير الحدث في هكذا أعمال قصيرة ومكثفة الاحداث ما إستدعى توظيف ظواهر ذات طابع نفسي إجتماعي معرفي كظاهرة التنافر المعرفي في الشخصية الدرامية التي تُعَرِّض الذهن لإجهاد بفعل إدراك العقل لعنصر معرفي جديد يخالف عنصر معرفي آخر سابق له تربطهما علاقة موضوع واحد فتنشأ دافعية ترهص الشخصية الدرامية للتخلص من حالة القلق والتوتر والحيرة والشك والصدمة التي تتملكها ومحاولة الوصول الى حالة إتساق نفسي عبر آليات او قرارات دفاعية . . فقد ساهم الوعي بأهمية الحضور النفسي في المسرح العربي مؤخرا ـــ عبر شخصيات ذات بعد نفسي إجتماعي ـــ بتَعميقَ المضمون الفكري للمسرحيات العربية وفهم واستكشاف افضل للسلوك البشري بتوظيف مختلف الصراعات الداخلية والتناقضات الانسانية كالاغتراب والهوية والاضطرابات النفسية .

مسرحية الميجربارابارا للكاتب الاوسكتلندي جورج برناردشو ١٩٠٦ : [١٢]

تدور أحداث مسرحية(الميجربارابارا) حول جيش الخلاص ، هذه الجمعية الخيرية الدينية المناهضة للعنف والتي تعتمد على تحصيل الاموال لتدفعها كتبرعات ومساعدات تنقذ بها أرواح الفقراء من الجوع فكان أعضاؤه شديدي الحماس الديني عبر خطبهم الرنانة في محاربة العدو(الشيطان) ، معتقدين أن بوسعها تخليص البؤساء من تعاطي الخمر ومن ويلات الحروب والخروج بالأنسانية من الظلام الى النور . تحكي المسرحية شخصية فتاة (الميجر بارابا) التي أفضت بها عقيدتها المثالية لان تكون عضواً بارزاً (برتبة ميجر) في هذا الجيش فهي مرتاحة روحيا للعمل الذي تقوم به .

" كاسوس : ... ، وهذه الميجور باربارا أندر شافت من جيش الخلاص، وهذه سارة ابنتك الثانية، وهذا ستيفن أندر شافت ابنك. " ص ٢٨ .

تعيش (باربارا) مع أخوها ووالدتها التي إنعزلت بهم عن والدهم ــ الرأسمالي الثري صاحب مصانع السلاح ــ منذ عشرون عام بسبب سوء أخلاقياته وأفكاره الشريرة وإصراره على حرمان أولاده من الميراث ، تحاول الأم اقناع زوجها بالعدول عن رأيه بحرمان أبنه من الميراث عبر مأدبة عشاء أعدتها جمعت الأولاد وخطيب بربارة بوالدهم ليتعرف عليهم بعد فراق طويل ، وبعد رفضه لطلب الأم دار نقاش أفضى إلى تحدي نشأ بين بربارة و والدها وضعها في موقفين متضادين حيث يعتبرها هو ضاله تسير في طريق غير ملائم وتعتبره هي ظالاً يحتاج إلى التوبة والخلاص ، وكل منهما يعتقد أن طريقه هو الصحيح الحقيقي المثالي لخلاص العالم . فتطلب بربارا من والدها أن يزور معها دار جيش الخلاص ــ علها تكسبه وتخلصه ويترك تجارته هذه ــ ليرى التائبين هناك وكيف يعاملونهم فيوافق على أن تقوم هي بعد ذلك بزيارة معامل السلاح .

" ندرشافت : أنا من جهتي أرى أنه كلما كانت الحرب أكثر دماراً كلما كانت أكثر روعة .أنا لست خجلاً من عملي كتاجر أسلحة / باربارا : هلا ساعدتني لجلب الخلاص لك؟ أندر شافت: سأعقد صفقة معك، إذا ذهبت لزيارتك غداً في مقرك هل تأتين في اليوم التالي لزيارة مصانع الأسلحة خاصتي؟ ص ٤٠ .

وعند زيارته للجمعية يعرف (اندروشافت) من رئيسة الجيش أن الاوضاع المادية سيئة جداً في الجيش وأنها قد حصلت على تبرع مقداره خمسة الالف جنيه إسترليني من صاحب أكبر تجارة للخمور في لندن ولكن تبرعه مشروط بوجود متبرع آخر أو عدد من المتبرعين يدفعون مبلغاً مساوياً وأمام دهشة وصدمت (بربارا) التي تستغرب

أن يقبل جيش الخلاص نقوداً ملوثة سرعان ما تزداد دهشتها وتنافرها المعرفي الذي أفقدها إتزانها النفسي عندما أدركت أن معرفة حقيقة والدها للسيدة (بينز مفوضة الجيش) لم تثنيها عن قبول التبرع الثاني من والدها(منتج أسلحة الدمار وصانع الموت) بالخمسة الالف الاخرى المطلوبة الاخرى مع رفضه الاعلان عن اسمه ، إذ يسير مع رئيسة الجيش في الشوارع إلى الكنيسة كأكبر صانع خير ومنقذ للفقراء والمساكين جعلت هذه المفارقة (بربارا) تصاب في صميم قيمها ومعتقدها الراسخ وتحاول إستعادة إتزانها النفسي بعد إنهيار يقينها السابق لتستبدله بيقينا جديداً تبلور عنه إنسحابها هي وخطيبها من الجيش بشكل نهائي بعد أن كان قد إنضم للجيش إرضاءاً وحبا بها وليس إيمانا راسخا بمعتقداتها.

بيل : ساخراً إلى باربارا ما هذا الخلاص الذي تسعون إليه؟ / باربارا : توقف (يتوقف أندر شافت عن الكتابة، يستدير الجميع نحوها بدهشة)

سيدة بينز هل ستقبلين ماله فعلاً؟ / السيدة بينز: مندهشة ولم لا يا عزيزتي ..؟ ! باربارا : لم لا ..! ألا تعرفين ماذا يعمل أبي؟ هل نسيت أن اللورد ساكسموندهام هو نفسه مالك مصنع ويسكي بودجر ؟ ألا تذكرين كم توسلنا إلى حكومة لكي يمنعوه ...

باربارا: أيها الرب لم تخليت عني .. تنهار جاثية على ركبيتها وتدفن وجهها بكفيها، يتوقف الجميع عن الكلام يقترب بيل ولكر منها . / بيل : هل تريدين فعلاً ترك جيش الخلاص؟ ص ٩٠ .

ليتولى (خطيب باربارا) إدارة مصانع والدها بعد ترحيب وموافقة باربارا في مشاهد لاحقة من المسرحية .

مسرحية الاغتصاب للكاتب السوري سعد الله ونوس ١٩٩٠ : (١٣)

في المسرحية حكايتين في فضائين مختلفين ، تمثل الاولى حكاية اسرة فلسطينية مكونة من عروسين حيثي عهد بالزواج (قبل ثلاثة اشهر) العروسه دلال والزوج اسماعيل الشاب الناشط في المقاومة أعتقل بعد ثلاثة اشهر من زواجه وترك عروسه دلال التي تعاني مشاعر الوحدة والفراق الممزوجين بحالة الصدمة والتنافر المعرفي والامتعاض لعدم علمها بهوية اوطبيعة العمل السري لزوجها ، سيما انها كانت قد خالفت اهلها المعترضين على زواجها من اسماعيل ، فتتمظهر طبيعة شخصيتها المستقلة في بداية النص والمتحفظة والممتعضة من تهور اسماعيل وانخراطه في هكذا عمل ، سرعان ما تتغير مواقفها وافكارها هذه بعد صدمة جعلتها ضحية هذا الصراع بين زوجها (الذي يمثل افراد المقاومة الفلسطينية) والفكر الصهيوني المتطرف الذي اقدم على إعتقالها وإغتصابها

امام زوجها المعتقل الذي اعدمه فيما بعد ، وممارسة ابشع طرق التعذيب بحقها لإنتزاع إعترافات منه ، لتتنامى لديها مشاعر الانتقام والحقد ما دفعها بعد اطلاق سراحها للإنظمام للفكر السياسي المناوئ للصهيونية والذي لم تكن تعرف شيءعنه قبل زواجها واغتصابها وتعذيبها من قبل افراد الامن الصهيوني اللذين كان احدهم يمثل شخصية الضابط (اسحاق) الشخصية المحورية في الحكاية الثانية (في الجانيب الاسرائلي من النص) عبر حواراته مع الشخصيات (امه ، زوجته ، زملائه ، ورئيسه الصهيوني) .

دلال : لا أدري ماذا أفضل! كل ما أريده هو أن يعود. لو تعرفين كم أشعر بالوحشة والخوف في غيابه! لم يمض على زواجنا إلا ثلاثة أشهر. ولم يخبرني شيئاً عن حياته الأخرى . ص(٧٢).

مائير : الا تعانق عروسك ؟ احب مشاهد العشق. /اسماعيل : هي لا شأن لها. عذبوني كما تشاؤون. افعلوا بي ما تريدون. ولكن دعوها بعيدة عن هذا الجحيم.

إسماعيل : ليس لدي ما أخبركم به. / مائير : لنبدأ العرس . ص(١١٠)

دلال : وهل إسرائيل شيء والصهيونية شيء آخر؟ ... لكنني الآن أعرف إسرائيل كما أعرف جسدي. أتعلمين أن الإسرائيل رائحة؟ :رائحة فظيعة، تملأ أنفي وجوفي ومسامي. ختمت إسرائيل هويتها على جسدي، ولن يمحو هذا الختم الرهيب إلا الموت ما عرفته يا ابنة العم يكفيني. وأنا الآن جاهزة للانضمام إلى المقاومة . ص (١٢١)

فتصور الحكاية ذهابه للطبيب النفسي سراً ليعالج حالة ضعفه وبروده الجنسي واظطراباته النفسية ومشاعر الاستياء والتنافر المعرفي نتيجة ما يفرضه عمله الوظيفي في سلك امني صهيوني متطرف ومنحرف يدعوه بشدة لممارسة التعذيب والتنكيل والاغتصاب ضد السجناء من الفلسطينين ، فيضطر للأعتراف للطبيب (بدافع علاج حالته) عن اخر حفلة اغتصاب وتعذيب والتي مارسوها ضد شخصية العروس دلال وزوجها ، فنصحه الطبيب بعدم ممارسة هكذا افعال مشينة تخالف الانسانية وتجعله مريضاً ، ليصر على موقفه ووصف الطبيب بالمتخنث المتخاذل ويستمر في وظيفته مع تنامي حالة الارتباك والرفض الداخلي لهذه الممارسات وفي مشهد اخر حاولت فيه زوجته ان تتفهم حالته ونفوره منها عبر اقرب صديق له في العمل لتصدم بإغتصابه لها ، والاعتراف لها بالممارسات المشينه التي يرتكبها هو وزوجها وجميع اعضاء هذا السلك وبعد ان تشجبه وتشتمه بشده ، تخبر زوجها بما حصل ليتنامى تنافره المعرفي ورفضه متأرجحا بين مشاعر ارضاء زوجته المستائه منه ومن امه ومن كل الفكر الصهيوني ـــ التي تقرر السفر لأمريكا تاركتا كل شيء ورائها حتى ابنها التي منعت من تربيته ـــ وبين البحث

عن هويته الضائعة واستعادة اتزانه النفسي عبر تغير سلوكة هذا والانسحاب والبحث عن وظيفة مدنية اخرى طلبها من رئيسه الصهيوني الذي رفض الامر بشدة واقدم على قتله برصاصة بالتأمر مع الدته المتطرفة بعد ان عجز عن اقناعه بالعدول عن قرار الانسحاب وترك هذا العمل .

الدكتور: هل تخيفك الكلمة؟ / إسحق: أي كلمة؟ / الدكتور: العجز. تريد أن تقول إنك تعاني عجزاً جنسياً. / إسحق : نعم.. وهذا يرعبني كثيراً.

الدكتور : هل تحب زوجتك؟ / اسحق : أكثر من أي امرأة أخرى.

الدكتور: هل أفهم أنك أجبرت على هذا العمل؟

الدكتور: ركز انتباهك يا سيد بنحاس. هناك صوت في أعماقك الخفية يقول إن ما فعلتموه، ما كان يجوز أن تفعلوه، حتى ولو ...

الدكتور : نعم يا سيد بنحاس.. في تربيتنا الصهيونية يعلموننا الكراهية بصورة دؤوبة ولكنهم لا يبالون بالحدود التي يمكن أن الأعمال الكاملة أكدت أن العمل أو الواجب ...

اسحق : سأترك العمل، وأنتقل إلى وظيفة مدنية في الخارج.

مؤشرات الاطار النظري

١- يُعَد التنافر المعرفي اداة فعالة لخلق شخصيات درامية واقعية معقدة متطورة وعميقة تحقق مساعي المسرح الواقعي .

٢- يتبلور التنافر المعرفي في الشخصية الدرامية عبر تفاعل مركب لمختلف ابعادها الفكرية والفلسفية والنفسية والجسمانية والاجتماعية والثقافية .

٣- يحفز التنافر المعرفي دافعية الشخصية الدرامية للتصرف والبحث عن حلول لاستعادة الاتزان النفسي عبر اتخاذ قرارات تغير مسار الاحداث وتشرع بالصراع الذي يدفع الحبكة الى الامام.

٤- يرتبط التنافر المعرفي بشعور الضيق والقلق والتوتر او الصدمة والاحباط وخيبة الامل او العزلة والاغتراب او الذنب وتأنيب الضمير والندم أو الحيرة والعجز أو الشك وعدم اليقين او اللاجوى والعدم والعبث .

٥- يتزامن التنافر المعرفي في الشخصية الدرامية مع لحظة الادراك لعنصر معرفي جديد تحدثه تجربة معرفية جديدة او حدث معين يتعارض مع بناءها المعرفي المسبق .

٦- يتجلى التنافر المعرفي بوضوح عبر تقنيات حوار النفس أو المناجاة أو المونولوج أو تيار الوعي سواء بلغة مرمزة او صريحة تستكشف اعماق الشخصية الدرامية.

٧- يحل التنافر المعرفي كليا عبر استراتيجيات ايجابية تسلكها الشخصية الدرامية ، وجزئياً وبشكل مؤقت عبر استراتيجيات سلبية ترهص ظهوره مستقبلاً .

٨- تواجه الشخصية المثقفة المثابرة تجربة التنافر المعرفي بفعل القاعدة المعرفية الواسعة ومسؤولية كشف الحقيقة ونشرها، أكثر من الشخصية العادية .

٩- تنتمي النصوص المسرحية المتنافرة معرفيا لإسلوب المسرح الذهني الذي يتسم بتصوير ومعالجة أفكار الشخصيات الدرامية اكثر من احداثها .

١٠- تضفي الافكار المتناقضة ، والتحولات الغير متوقعة للشخصيات الدرامية في النص المسرحي شعوراً بالمفارقة والتنافر المعرفي والدهشة والتشويق للمتلقي .

الفصل الثالث: اجراءات البحث

اولا) مجتمع البحث: متمثلا بالنصوص المسرحية العراقية

ثانيا) عينة البحث : قامت الباحثة باختيار عيناتها بصورة قصدية وفقاً للمسوغات الاتية :-

١. تعطي العينة المختارة فرصة للإحاطة بمنطلقات التنافر المعرفي للشخصية الدرامية في النصوص المسرحية .
٢. استجابة لحدود الزمان المحددة في إجراءت البحث .
٣. متمثلة لمشكلة البحث ووقوعها ضمن المدة الزمنية للبحث .
٤. شيوع النصوص وسهولة تداولها بيسر وطباعتها في كتب ومجلدات .

جدول عينة البحث

ت	اسم المسرحية	اسم المؤلف	سنة الطبع والتأليف
١	المهزلة	عمار نعمة جابر	٢٠١٣

ثالثا: منهج البحث: اعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك لملائمة هدف بحثها واجراءاته.

رابعا: اداة البحث: قامت الباحثة ببناء أداة بحثها من خلال ما حصلت عليه من مؤشرات للاطار النظري.

خامسا: تحليل العينة

مسرحية(المهزلة)[١٤] (عمار نعمة جمعة)*

تدور احداث النص حول شخص مثقف وكاتب غالباً ما كان يلاحظ بإنزعاج عسكرة المجتمع الذي يعيش فيه بخلاف فكره الراسخ المبني على قوة الحب والوئام والسلم المجتمعي الذي نشأ عليها ، تزوج من الفتاة التي احبها فأنجبت أربعة بنات ، ثم تعرضت لحادث سير أنهى حياتها مع امها بعد عشرين عام من زواجهما ، فتزوج من أمراة ثانية بدافع حبه لبناته ومنعاً لتشظي عائلته وتلبية لنصح الاصدقاء والمقربين ممن اشارو له بضورة وجود أمرة ترعى أيتامه وتشاركه مسؤولياتهن ، وبعد فترة من الفشل في إنجاب طفل يعزز صلة الزوجة ببناته ، ما إستدعى الامر مراجعة الزوجة الطبيب لعدة مرات لغرض اليقين الوقوف على الاسباب ومعالجتها ، فتبين أن الزوجة تتمتع بصحة إنجاب سليمة وليس ثمة عائق يحول دون انجابها ، فقرر بدوره هو إجراء فحوصات تنهي شكه فصدمته نتائجها السلبية وأثارت تنافره المعرفي بعد ان كرر الفحص لعدة مرات ليكتشف حتمية عقمه منذ ولادته ، فعصفت بذهنه ثورة لا هواد لها ، أفضت به الى الانغلاق والعزلة داخل غرفة في منزله يندب حظه العاثر وفكرة زواجه الثاني التي ايقضته على حقيقة خيانة زوجته الاولى وساقه الى قدره المأساوي في ظل ضياع هويته وحطام نفسه وندمه على من احب واغفل معرفة حقيقتها طوال عشرون سنة رغم التلميحات العديدة التي لم يعرها انتباهاً إلا بعد فوات الاوان ، تلك الزوجة الخائنة التي كثيرا ما كانت تظهر له مشاعر الكره والاستياء عندما كانا يتشاجران فلم يكن يأخذ القضية على محمل الجد مبرراً لنفسه المغفلة ان ذلك لم يكن سوى غضب عابر من وراء قلبها الاسود فتدور عدة محاولات من وراء الباب في حوارات بينه وبين بناته وزوجته عندما ترجوه بضرورة إنهاء عزلته والعودة لحياته الطبيعية فكانوا يواسونه بأنها قد ماتت ، ليرفضهن في بادئ الامر مسوغاً ذلك بمنطق وتعاليم الدين التي تمنعه من التقرب لفتيات لم يكّن بناته الحقيقيات رغم حبه المستمر لهن وبعد ان سمع طرقات على باب الغرفة من اشخاص غرباء كانوا يطالبونه بإستعادة البنات منه إنتفض وغضب لذلك ففتح الباب محتضناً البنات وقائلا انه احق بهن من

الجميع فهو المربي والاب الذي احبهم وأحبوه ليطرد الغرباء بعد ان هددهم قائلا انكم سلبتم مني شرفي وهويتي فماذا تريدون اكثر من ذلك مأساة .

يدعو الكاتب عبر النص للتأمل الذهني والغوص في العديد من القضايا الفلسفية والنفسية الهامة التي تمنحها عملية توليف ظاهرة التنافر المعرفي في الشخصية من إمكانية ، اذ استبطن الكاتب عبر الفكرة الدرامية للنص تداعيات قضية إجتماعية (الخيانة الزوجية) التي ليست بحديثة العهد عن افكار المسرح الذهني اذ يعد النص تَعَيُّناً من تعيناته ، فالغاية المقصودة هنا التأمل في نمط عقلي يقترن بالسذاجة والتسرع في منح الثقة للآخرين دون التفكير بأحقيتهم في ذلك بسبب الغفلة أو العجز عن الفهم و استيعاب ما يجري او اكتشاف النتناقضات التي تُشرَحَ ، فالعقل قادر على التحليل والتركيب والاستدلال والاستقراء وهو ما يسمح بربط الاحداث بالتوقع والتأويل عبر تجاوز التفكير بالاشياء المحسوسة ، واستحضار الفطنة في التعامل مع الاشياء المافوق الحسية المعقدة ، بعيدا عن التفكير العاطفي الذي يشير الى تشوهاً معرفياً ينكر الواقع الفعلي للاحداث ويقيسها حول افتراضاته العاطفية والمعتقدات الشخصية ، وحالة التوجه نحو المشاعر هذه ستبطل امكانية توقع سطوع الاحداث وتدمر قدرة المرء على التفكير بعقلانية ، ليعكف على شماعة القدر التي يعلق أخطاءه وسقطاته في الحياة عليها والتطمينات التي تزوده بها الفكرة المتأرجحة حول صنع القدر وهل ان الانسان يستطيع ان يصنع قدره بنفسه ام انه مسلوب الارادة والقدرة على الاختيار ؟ وهل كل منا مسؤول عن افعاله واخطائه ؟ ام انه مسير وليس مخير ؟ فيعفي ذاته من المسؤولية ، هذا هو ما كان يدور في ذهن وخلجات شخصية الرجل المنعزلة المتنافرة معرفيا في المسرحية بعد الصدمة التي تلقتها فتلجأ لإعادة تقييم معتقداتها بسبب حالة التشظي التي إنتابتها ، مستحضرة سيناريوهات واحتمالات عديدة علَّها تصل لجواب شافي يُسَكِّنْ نفسها لما حصل .

" .. خفت أن يرى دمعي من حولي .. فيضحكون من سذاجتي (يضحك) كم كنت ساذجا .. ابكي من أجل موت "سوني" " (ص ٩٤) .

.. ايضا كنت لا أفكر الا بطريقة الحب ..

" أشعر أن ذلك المرء لا يعرف كيف ينبش بين الحروف .. ربما هو يعرف كيف يقرأ ما بين السطور حسب .. غبي .. بين السطور لا يوجد الكثير من الاسرار .. بين الحروف فقط ، يكمن الشيطان .." (ص ٩٢)

".. أنا مهزلة من صنع قدري .. كومة من بقايا ما حولي من اشخاص .. من بقايا ما حولي من أحداث ... انه قدرها وقدرك .. لماذا تعاقب نفسك .. " (ص ٩٩) .

وبعد أن إسترجعت الشخصية الرئيسية (الرجل) الاحداث في محاولة منها لإستيعاب وتصور حيثيات وملابسات فعل الخيانة الذي أمتد في طيف عشرون عاماً ظهر ان :

المعتقد السابق الراسخ لدى شخصية (الرجل) كان حب الزوجه بشغف و التعامل بفكر الحب لا بل تقديسه لفكر الحب وجهله بكره اي شيء (التفكير بعاطفة القلب) :

" .. كيف يمكنني أن اقنع اصحاب البدلات الخاكي بقداسة الحب .. وجدوى كلمات الحب .. ومقام الحب في قاموسي .. (ينادي) يا ناس كنت احبها .. (لحظة صمت .. يتحرك) رأيتها حين كانت ترجع من الجامعة .. كانت تمشي على شغاف القلب .. ترتدي زي المدرسة الاسود والابيض .. وتملك هبات الله من الابيض والاسود .. في طعمهما معا .. فشعرها الكحلي الاسود كانت تصففه كما احب أنا ، طبعا دون أن تعلم .. آه كم كنت أحبه وخصلات منه تفر من التسريحة لتقع على وجهها الناصع البياض .. ابيض كالثلج .. احب كل شيء فيها .. نضرتها .. حركة يديها .. دورة خصرها .. جننت بها .. لم أكن ارى غيرها .. وحين تزوجتها .. بعد أن خطبتها أمي من أمها.. فكرت بأن الدنيا قد وهبتني الفرح اخيرا .. لقد تحملت الم وفاة أمي وفراقها ، بسبب قربها مني .. وصارت هي سيدة البيت .. " (ص ٩٦) .

فإقترنت لحظة المعرفة المحورية للتنافر المعرفي التي تزامنت مع معرفة نتائج تحليل الطبيب وزوال ادنى نسبة للشك كان يتشبث بها بداخله لتنجلي أمامه الحقيقة المرة التي تلقتها شخصية الرجل في تلك الحظة :

" أنا رجل لي عائلة .. وعندي اربعة بنات .. ومتزوج منذ عشرين عاما .. ولكن زوجتي ماتت بحادث سيارة .. حادث .. مجرد حادث غبي .. مع امها الغبية وعلى يد سائق غبي .. وتزوجت بامرأة اخرى .. دكتور .. هذه المرأة لم تنجب .. ففحصت هي .. لأنني متأكد من نفسي .. لأنني أب لأربعة بنات .. دكتور .. كررت الفحص ثلاث مرات .. وظهرت أنها سليمة .. سليمة جدا .. لماذا لم تكن هي عاقر لينتهي كل شيء! .. كنت قد نسيت الامر .. كيف ظهرت هي سليمة ؟ .. وأنا الفحل .. أبو البنات الاربعة عاقرا منذ الولادة .. سأجن دكتور .. هل كررت الفحص مرتين .. ثلاثة .. عشرين .. اربعين مرة .. هل اذهب الى دكتور آخر .. هل يحتاج الامر الى الذهاب

الى العاصمة .. دكتور ارجوك قل غير ذلك .. أنا أحب "جنه " واحب "بهجه " واحب "مهجة ولهجه" انهن بناتي الغاليات .. كيف تقول أنني عاقر لا أنجب .. فاقد لقدرة الاخصاب منذ ولادتي؟! .." (ص ٩٨)

فأدرك وأعاد تقيم معتقداته بعد فوات الاوان متيقناً من خطأ التفكير الساذج المبني على عاطفة القلب الذي كان يمارسه :

" سأحب كل الاشياء التي أكرهها الآن ، واكره كل الاشياء التي أحببتها طوال حياتي .. نعم .. (يتحرك) نعم .. سأحب ... كنت سأكره الصحف والمجلات التي كنت مشغوفا بقراءتها .. أو حتى تلك الروايات والقصص القصيرة التي كنت أعيد قراءتها بين فترة واخرى .. (يتحرك) ربما بعد كل هذا الكره .. وكل هذه التغييرات الحاقدة .. ربما كنت سأكون غيري .. سأكون شخصا آخر .. لا أعرفني البته .. نعم .. لا أتشرف بأن أعرفني .. (يصرخ بوجع) من أنا ؟ .. ها .. من أنا .. " (ص ٩٢ – ص ٩٣)

" الرجل : (بغضب) لا .. هذه العاهرة لم تمت .. أنا الميت .. هي التي قتلتني .. قتلت كل شيء جميل في حياتي .. " (ص ٩٧ – ص ٩٨)

فرتبط التنافر المعرفي بحالة الصدمة والانكار والدهشة والذهول التي عصفت بشخصية الرجل الدرامية في النص ، وأثارت دافعية ارهصتها وغيرت مسار احداثها وحياتها فألقت بها في ثورة نفسية وعزلة وشعور بالاغتراب والضياع وفقدان الهوية :

" .. (صوت طرقات على الباب) من هناك؟ .. من الطارق؟ لا اريد أن يدخل أحد .. لا أريد أن أرى أحد .. هل فهمتم ؟

الصوت : (من خارج المكان) افتح ارجوك أنا زوجتك .. اريد أن أتحدث معك..

الرجل : قلت لا اريد أن اتحدث مع احد .. اذهبي عني .. اتركيني .. أنا لست زوجا لاحد .. أنا لا اعرف أحدا .. هل تفهمين ؟ " (ص ٩٤ – ص ٩٥) .

" .. من أنا ؟.. ها .. من أنا ؟ .. أنا لست سوى نكره .. تافه .. لا قيمة تذكر لي .. أنا مهزلة من صنع قدري .. كومة من بقايا ما حولي من اشخاص .. من بقايا ما حولي من أحداث .. " (ص ٩٣) .

" الرجل : (بغضب) لا .. هذه العاهرة لم تمت .. أنا الميت .. هي التي قتلتني .. قتلت كل شيء جميل في حياتي .. (يتحرك) ليتني بقيت اعمى لا اعرف شيئا .." (ص ٩٧- ص ٩٨)

فسخر الكاتب أبعاداً تستجيب لعملية توليف ظاهرة التنافر المعرفي في بنية الشخصية الدرامية فأدت تلك الابعاد دوراً رئيسياً في تحولات أفكار شخصية الرجل الدرامية في النص فنتج عن تلك الابعاد (النفسية الفلسفية والاجتماعية والثقافية) عمق وواقعية وتأثير في القارئ احدثته شخصية الرجل المتنافر معرفياً ، فكان البعد النفسي يتمثل بأنه شخصية أرهقها الكبت والامتعاض الداخلي من عسكرة المجتمع ، وكذلك يعد (الرجل) نفسه شخصية غير محضوضة ومسالمة وتبكي لأتفه الاسباب ، أما بعده الاجتماعي فهو شخصية تمثل الطبقة المثقفة الواعية التي يقع على عاتقها تنوير وتثقيف افراد المجتمع تجاه هكذا قضايا (الخيانة الزوجية وغيرها) ، اما الفلسفي فقد ظهر العمق بوضوح عندما قارب بين القدر المحتوم للانسان وبين مسؤوليته في تغيير الواقع عبر التفكير العقلي المنطقي الذي لايخلوا من القساوة ولكنه أسمى من عاطفة التفكير المقترن بالحب (القلبي العاطفي) التي تؤدي الى ماساة ، وكذلك أثار مواضيع الهوية والعدم ، وفقدان الذات ، والقدر المحتوم ، البعد الثقافي أظهر الناص الالتزام الديني للشخصية عندما أثار مشكلة تعذر ضم بناته ادرك انه لم يعد أبوهن :

" وهذا قضاء الله .. وزوجتك أم بناتك ، ماتت بحادث سيارة ليس لك يد فيه .. كانت مع امها في السيارة وانقلبت السيارة بهما .. انه قدرها وقدرك .. لماذا تعاقب نفسك .."

".. من عذبت أو من أهنت أو من ظلمت في هذه الدنيا لكي تكون آخرتي بهذا الحجم ؟ أنا حتى لا أقتل النملة التي تعضني .. ادفعها عني بهدوء .. أو انفخها عني هكذا (ينفخ بهدوء) .. أخاف عليها من أن تتحطم .. " (ص ٩٥) .

" .. كم كانت تنعى أمي عند رأسي بكاءا .. بالدم قبل الدمع .. تردد نزفا ، لا ابياتا للنعاس .. تعمدني بالحزن ، وبسوء الطالع .. كي تخرب كل اللون الابيض في روحي .. لتصبغه بالأسود .. المسكينة أمي .. ما اطهرها .. حملتني بين حنين الصوت ، وانّات القلب وتراتيل الشوق ، صنعتني روحا للحب .. لا أعرف أن أكره .." (ص ٩٣) .

" .. واحاول أن ابدوا سويا .. أنا لست سويا .. أنا اكبر شاذ في هذه الدنيا .. شاذ ومعتوه .. كيف أراني أزرع الحروف في أرض لا تعرف قيمة اطنان من الجمل التي تقذفها من بين فكيها الجاهلتين ! .. كيف اراني أزرع الياسمين في أرض امتلأت ببخور مؤخراتهم المتسعة ! .. " (ص ٩٤) .

" الرجل : حتى لو فتحت كل الابواب .. ماذا سينفع ؟ هل ستبقى مشاعري كما كانت ؟ ستكون هناك حواجز لا تحصى بين رجل غريب .. وبنات غريبات عنه .. كيف سأضم "جنه" الى صدري .. آه يا الهي .. ماذا يحصل لي ؟ .. في لحظة واحدة انهار كل شيء .. " (ص ٩٩)

ووظف الكاتب اسلوب التشخيص المباشر (ضمير الانا) في إيصال التنافر المعرفي والصراع الذهني في شخصية الرجل الدرامية ، مستخدماً لغة إبداعية إرتكزت حوارت التنافر المعرفي فيها على الوصف والترميز وحوار الذات :

"من أنا ؟ .. ها .. من أنا ؟ .. أنا لست سوى نكره .. تافه .. لا قيمة تذكر لي .. أنا مهزلة من صنع قدري ... أنا لست سويا .. أنا اكبر شاذ في هذه الدنيا ... ؟ أنا حتى لا أقتل النملة التي تعضني "... " (يفكر) لكنت .. لكنت ماذا ؟ .. ماذا سأكون لو كنت أعلم .. ربما كنت قد تركت بيت ابي في وقت مبكر .. وهاجرت الى مدينة اخرى .. مدينة بعيدة جدا .. ربما .. (يتحرك) أو ربما .. كنت سأنسى كل شيء .. نعم .. كل شيء..

تخرب كل اللون الابيض في روحي .. لتصبغه بالأسود .. المسكينة أمي .. ما اطهرها .." (ص ٩٣)

وبفعل الشمولية المعرفية التي تمتلكها شخصية الرجل المثقف المتطلع وقارئ للكثير من القصص والروايات العالمية التي وأن إستثارت فيه تنافراً معرفياً ضد المجتمع المتعسكر ولكن شموليته المعرفية هذه في ذات الوقت قد أسعفته في الحد من تنافره وحله بصورة إيجابية بعد ما دأب الى العزلة السلبية كردة فعل دفاعية مؤقتة تخيل أنها كفيلة بإنهاء تنافره المعرفي ، ألا انه سرعان ما يدرك الاستراتيجية الايجابية التي اتكأ عليها فتكفلت بإنهاء وحل تنافره المعرفي :

" أذكر يوما أنني كنت اقرأ برواية العرّاب .. وانا أجلس في الباص المتوجه للعاصمة ... كنت سأكره الصحف والمجلات التي كنت مشغوفا بقراءتها .. أو حتى تلك الروايات والقصص القصيرة التي كنت أعيد قراءتها بين فترة واخرى .."

" الرجل : (بحزن) "بهجه" ابنتي التي أحبها .. كم فرحت حين رأيتك في بطن أمك تكبرين ..

الصوت : أبي .. تعال .. هؤلاء الرجال الذين لا نعرفهم يريدون أن يأخذونا معهم..

الرجل : (ينادي) لن تأخذوا مني شيئا بعد اليوم .. لقد جزعت منكم .. أخذتم زوجتي من قبل .. وتريدون أن تأخذوا مني بناتي .. لن اترككم تفعلوا ذلك .. هن يحملن أسمي أنا لا اسمائكم .. يحملن احلامي أنا ... " (ص ٩٦ – ٩٧)

وقد خلق التناقض الفكري الادراكي الذي اتسمت به الشخصية الدرامية حالة من التباين وأثارت الشعور بالمفارقة الذي يجسد فضول المتلقي ويثير تساؤلاته لمتابعة تحولات الشخصية وخلق تأويلات متعددة للنص ، وقد تبين ذلك التباين لان الشخصية تمثل ذات مثقفة وواعية ، لا تجتاز ذهنه فكرة قضية خيانة زوجته والمؤشرات التي اقترنت بهذا الفعل ، إذ كان يراها ويتجاهلها ثم إستحضرها بعد صدمته ولات حين مندم :

" .. ربما كنت سأختار غير اصدقائي .. أو سأحب غير الفتيات اللواتي احببتهن ، بعد أن بلغت الخامسة عشر .. من عمري البائس .. " (ص٩٣)

" كنت سأكره الصحف والمجلات التي كنت مشغوفا بقراءتها .. أو حتى تلك الروايات والقصص القصيرة التي كنت أعيد قراءتها بين فترة واخرى ... لا أعرف أن أكره .. لا اكره في الدنيا سوى عصير الزبيب لأنه يؤلمني .. والملابس الداخلية الملونة لأنها تربكني .. والمسلسلات التي تأخذني للتعرف على الاطفال الذين يولدون قبل زفاف ابائهم .. (يتحرك) أذكر يوما أنني كنت اقرأ برواية العرّاب .. " (ص ٩٣) .

" لكنني كنت أحبها .. احبها جدا .. كيف لي أن اقنعهم بذلك ؟ ... كنت أحبها لذلك لم أكن لأرى ما فيها من خصال سيئة .. كم مرة قالت لي حين تغضب .. أنها تكرهني .. وأن أمها اجبرتها على الزواج مني .." (ص ٩٦)

الفصل الرابع: النتائج والاستنتاجات

النتائج:

١– أدت ظاهرة التنافر المعرفي الى خلق شخصيات درامية واقعية معقدة .

٢– ارتكز التنافر المعرفي في الشخصية على التفاعل المركب لأبعادها الفلسفية والنفسية والاجتماعية والثقافية.

٣– ظهر أن لظاهرة التنافر المعرفي في النص المسرحي دافعية لتغيير مسار الاحداث والشروع بالصراع الذي يدفع الحبكة الى الامام .

٤– تزامن حدوث التنافر المعرفي في الذهن مع لحظة إدراك الشخصية الدرامية لمعرفة جديدة .

٥- تمظهر التنافر المعرفي في النص بتوظيف تقنيات حوار النفس عبر التصريح المباشر تارة والتلميح المرمز تارة أخرى.

٦- إنتهى التنافر المعرفي للشخصية الدرامية بشكل إيجابي .

٧- دأبت شخصية المثقف على مواجهة التنافر المعرفي وألحد منه بفعل شموليتها المعرفية .

٨- بعث الكاتب أفكاره ورسائله الذهنية المتضمنة في النص عبر تحولات الشخصية وواقعيتها المستمدة من تنافراتها المعرفية .

٩- خلقت ظاهرة التنافر المعرفي مفارقات فكرية أفضت بدورها لمزيد من الجمالية والتشويق والمتعة .

الاستنتاجات:

١- ارتبط مفهوم التنافر المعرفي بشعور الضيق والقلق والتوتر او الصدمة والاحباط وخيبة الامل او العزلة والاغتراب او الذنب وتأنيب الضمير والندم أو الحيرة والعجز أو الشك وعدم اليقين او اللاجوى والعدم والعبث .

٢- تلعب ظاهرة التنافر المعرفي دوراً هاماً في إثراء المتلقي وإثارة تنافراته المعرفية .

٣- تعد ظاهرة التنافر المعرفي بمثابة محفز لإعادة تقييم الذات شاملة للذات تفضي الى قرارات ناضجة تنهي المشاعر السلبية .

٤- تمثل ظاهرة التنافر المعرفي محركاً أساسياً لسير الحدث الدرامي .

٥- تؤدي ظاهرة التنافر المعرفي دوراً تحفيزياً لإعادة تقييم المعتقدات والسلوكيات حول قضية إنسانية معينة .

٦- تمثل ظاهرة التنافر المعرفي بوصلة موجهة ومقياس اساسي لتطور الشخصية الدرامية .

التوصيات:

توصي (الباحثة) بما يأتي:

١. ضرورة الاهتمام بالقضايا الاجتماعية، والسياسية، والنفسية، وتضمنها في النصوص المسرحية العراقية، وبما يواكب العصر، وحياة المجتمع، وهذا ما خرجت به الباحثة من خلال التحليل.

٢. ضرورة لاهتمام بالكتاب بشكل عام، وكتاب المسرح بشكل خاص، وتشجيعهم، ورعايتهم معنويا، وماديا.

٣. طبع النصوص المسرحية العراقية والعربية الحديثة، وترجمتها لتعرف الآخر على الثقافة العراقية

٤. دعوة الكتاب المسرحيين لمعالجة موضوع التنافر المعرفي في نصوص مسرح الطفل .

المقترحات:

١. دراسة التنافر المعرفي في مسرح الطفل .

٢. دراسة التنافر المعرفي في النص المسرحي العراقي .

٣. دراسة العزلة والاغتراب في نصوص بيات مرعي المسرحية .

احالات البحث:

١) جابر عبد الحميد جابر ، علاء الدين كفافي : معجم علم النفس والطب النفسي (مطابع الزهراء للاعلام العربي ، ١٩٨٩) ، ص ٦٤٦.

٢) أسامة أحمد محمد : التنافر المعرفي وعلاقته بانفعالات التعلم والتحصيل الأكاديمي لدى طلاب الجامعة بالبحر الأحمر ، (مجلة كلية التربية في العلوم النفسية ، مج ٣ ، عد ٤٤ ، ٢٠٢٠) ، ص ٤٠ .

٣) سعاد كامل قرني سيد : التنافر المعرفي كمنبئ بضعف الإرادة وصعوبات التنظيم الانفعالي لطلاب الجامعة المكفوفين (دراسة سايكومترية ــ كلينيكية) ، ص٢٥١ .

٤) ينظر : إيسوب : حكايات إيسُوب ، تر/ عادل مصطفى ، (مصر ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٩) ، ص ٦٧ .

٥) يوسف قطامي : نظرية التنافر والعجز والتغير المعرفي ، ط١ ، (الاردن ، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة ، ٢٠١٢) ، ص٢٨ .

٦) يوسف قطامي : نظرية التنافر والعجز والتغير المعرفي ، مصدر سابق ، ص ٣١ .

٧) يوسف قطامي : نظرية التنافر والعجز والتغير المعرفي ، مصدر سابق ، ص ٤٥ .

٨) أسامة احمد عطا الله : التنافر المعرفي وعلاقته بانفعالات التعلم والتحصيل الاكاديمي لدى طلاب الجامعة بالبحر الاحمر ، المصدر السابق ، ص ٤٤ .

٩) ينظر : جمال الراوي : التنافر المعرفي ، ط١ ، (الرياض ، صحيفة الجزيرة ، عد ١٧٣٧٨ ، ٧ / مايو / ٢٠٢٠) ، ص ١٦

١٠) ينظر : جور برناردشو : الميجر باربارا ، تر/ محمد طريف فرعون ، (دمشق ، دار أسامة ، د . ت) ، ص ١٥ – ص ١٤١

١١) سعد الله ونوس : الاعمال الكاملة ، مج ٢، ط ١،(دمشق ، الاهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٦) ، ص ٦١ – ص ١٨٩ .

١٢) عمار نعمة جابر :مسرحيات إنتباه ! ، (بغداد ، الرافد للمطبوعات ، ٢٠١٩) ، ص ٩١ – ص ١٠١ .

١٣) Look , Cognitive Dissonance, Second Edition: Reexamining a Pivotal Theory in Psychology , E. Harmon-Jones (Editor)

١٤) look : Leon Festinger , et al , When PROPHEY FAILS , (U.S.A , Harper Torchbook , ١٩٥٦) P. (٣٠ – ٤٩.(

١٥) Burns,C,P. : Cognative Dissonance theory & the induced compliance paradigm, concerns for teaching religious studies. (Teaching heology & Religious, ISSN, 1368, 4868, 9(1),2006), P.٣ – ٨.

(*) ولد الكاتب سنة ١٩٧٣ في الناصرية، عضو اتحاد المسرحيين الشباب١٩٩٣، عضو اتحاد الادباء والكتاب، وعضو نقابة الفنانين كت العديد من النصوص المسرحية ومنها،حلوى ٢٠٠٢، عرفان محمد ٢٠٠٣، حارس ورئيس ٢٠٠٥،نادي للضحك ٢٠٠٧،اعدام ٢٠١٩،المرة بعد الالف٢٠١٩،وغيرها ،صدرت له العديد من الكتب اهمها مقامات نورانية مسرحيات ٢٠٠٨،وكتاب نادي للضحك ٢٠١٠،وانتباه ٢٠١٩ ،ونسخة طبق هؤلاء ٢٠٢١، شارك في الكثير من المهرجانات ومنها مهرجان المسرح الشبابي ١٩٩٣، ملتقى نيسان ١٩٩٥،ومهرجان الملتقى الثقافي العراقي الاول بغداد ٢٠٠٥، وغيرها للمزيد ينظر، ، موسوعة المسرحيين العرب ،الكاتب عمار نعمة جمعة ، العراق،مسرح نيوز ammargaber@gmail.com

المصادر والمراجع:

- جابر عبد الحميد جابر ، علاء الدين كفافي : معجم علم النفس والطب النفسي (مطابع الزهراء للاعلام العربي ، ١٩٨٩).
- أسامة أحمد محمد : التنافر المعرفي وعلاقته بانفعالات التعلم والتحصيل الأكاديمي لدى طلاب الجامعة بالبحر الأحمر ، (مجلة كلية التربية في العلوم النفسية ، مج ٣ ، عد ٤٤ ، ٢٠٢٠).
- سعاد كامل قرني سيد : التنافر المعرفي كمنبئ بضعف الإرادة وصعوبات التنظيم الانفعالي لطلاب الجامعة المكفوفين (دراسة سايكومترية ــ كلينيكية).
- ينظر : إيسوب : حكايات إيسُوب ، تر/ عادل مصطفى ، (مصر ، الناشر مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٩)
- يوسف قطامي : نظرية التنافر والعجز والتغير المعرفي ، ط١ ، (الاردن ، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة ، ٢٠١٢).
- ينظر : جمال الراوي : التنافر المعرفي ، ط١ ، (الرياض ، صحيفة الجزيرة ، عد ١٧٣٧٨ ، ٧ / مايو / ٢٠٢٠).
- ينظر : جور برناردشو : الميجر باربارا ، تر/ محمد طريف فرعون ، (دمشق ، دار أسامة ، د . ت).
- سعد الله ونوس : الاعمال الكاملة ، مج ٢، ط ١،(دمشق ، الاهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٦).
- عمار نعمة جابر : مسرحيات إنتباه ! ، (بغداد ، الرافد للمطبوعات ، ٢٠١٩)
- Look , Cognitive Dissonance, Second Edition: Reexamining a Pivotal Theory in Psychology , E. Harmon-Jones (Editor)
- look : Leon Festinger , et al , When PROPHEY FAILS , (U.S.A , Harper Torchbook , 1956)
- Burns,C,P. : Cognative Dissonance theory & the induced compliance paradigm, concerns for teaching religious studies. (Teaching heology & Religious, ISSN, 1368, 4868, 9(1),2006)